أحداث العصر الجاهلي

في هذا العصر وقعت أحداث أطلق عليها المؤرخون اسم أيام العرب ، وهي :

- ✓ داحس والغبراء .
- ✓ حرب البسوس .
- ✓ يوم ذي قار .
- ✓ يوم حليمة .
- ✓ يوم الفجار .
- ✓ طسم وجديس .
- ✓ يوم بعاث .
- ✓ يوم خزاز .
- ✓ يوم اللوى .

كان لهذه الوقائع المشهورة أثر كبير في حياة العرب في شبه جزيرتهم فقد راح ضحيتها خلق كثيرون ، وخلفت ثارات وأرثت معارك وصدامات ونشير إلى أبرز هذه الأحداث (أيام العرب).

(٣) داحس والغبراء

من وقائع العرب وحروبهم المشهورة التي دامت أربعين عاما بين قبيلتي بين عبس وذبيان بسبب سباق للخيل بين فرسين هما داحس والغبراء .

- ✓ و داحس : اسم فرس يمتلكه قيس ابن زهير .
- ✓ والغبراء: فرس يمتلكه حمل ابن بدر.

وسبب الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان أن قيس بن زهير(من بني عبس) وحمل بن بدر(من ذبيان) اتفقا على رهان قدره مائة من الإبل لمن يسبق من الفرسين .

وكانت مسافة السباق طويلة تُقطع خلالها شعبُ صحراوية ودروب ،وأوعز حمل بن بدر إلى بعض الشباب من قبيلته أن يختبئوا في بعض الشعاب ، واتفق معهم : إذا وجدوا داحس متقدما على الغبراء في السباق أن يعطلوه ويردوا وجهه كي تسبقه الغبراء ... فلما فعلوا تقدمت (الغبراء).

وحينما انكشف الأمر بعد ذلك وعُرفت الخديعة التي تعرض لها داحس وصاحبه قيس العبسي اشتعلت نار الفتنة بين قبيلتي عبس

وذبيان ، ودارت رحى الحرب واستمرت سنوات عدة ، حتى جاء الحارث بن عوف وهَرِم بن سنان فحقنا الدماء وبذلا المال ودفعا ديات القتلى من الجانبين لتضع الحرب أوزارها ، بعد أن اصطلى الجميع بنارها .

وإلى هذا يشير زهير بن أبي سلمى مادحا ما قام به السيدان وما بذلاه من من مجهود حتى ساد السلم بين المتحاربين في قصيدته المشهورة : (٣)

يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا
بمال ومعروف من الأمر نسلم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر إذا ضريتموها فتضرم

حرب البسوس (٤)

هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد قتل جساس بن مرة الشيباني البكري لكليب بن ربيعة التغلبي ثأرا لخالته البسوس بنت منقذ التميمية بعد أن قتل كليب ناقة جارها سعد بن شمس الجرمي، ويذكر المؤرخون أن هذه الحرب استمرت أربعين عاما ٤٩٤ م ويذكر آخرون أنها استمرت بضعة وعشرين سنة. ، على خلاف في ذلك .

وفي سبب هذه الحرب (يروي رواة العرب أن كليب بن ربيعة التغلبي كان سيدا لقبائل معد وملكا عليهم ثم بغى عليهم ودخله الزهو فكان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه، ويجير على الدهر، ويقول: "وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج"، ولا تورد إبل أحد مع إبله، ولا توقد نار مع ناره حتى قيل: "أعز من كليب وائل". وكانت بنو جشم من تغلب بن وائل وبني شيبان من بكر بن وائل متجاورين في الديار وكانت البسوس بنت منقذ التميمة نازلة في بني شيبان عند جساس وكانت خالته وكان مع البسوس جار لها اسمه سعد بن شمس الجرمي

القضاعي وكانت له ناقة تسمى: "سراب" فمرت إبل لكليب بسراب وهي معقولة فلما رأت الناقة الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بها فلما رآها كليب بين الإبل أنكرها فرماها بسهم في ضرعها فنفرت وهي ترغو فلما رآها الجرمي أخبر البسوس فصاحت "واذلاه ! واجاراه !".

فلما سمعها جساس بن مرة غضب وركب فرسه ولحق به عمرو بن الحارث الشيباني حتى دخلا على كليب في حماه فقال جساس لكليب: "أيا أبا الماجدة، عمدت إلى ناقة جارتي فعقرتها" فقال له كليب: "أتراك مانعي إن أذب عن حماي؟" فغضب جساس فضرب كليب وقطم صلبه ثم جاء عمرو فطعن كليبا من خلفه فقطع بطنه حتى وقع ثم ارتحل بنو شيبان حتى نزلوا ماء يقال له: النهى. فتشمر لهم المهلهل واعتزل الخمر والنساء وجمع إليه قومه من تغلب وأرسلوا رجالا إلى مرة بن ذهل الشيباني والد جساس فقالوا له: "إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الإبل، فقطعتم الرحم، وانتهكتم الحرمة وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم. ونحن نعرض عليكم خلالا أربع لكم فيها مخرج، ولنا مقنع" فقال: "وما هي؟" فقالوا: "تحي لنا كليبا أو تدفع إلينا جساسا قاتله فنقتله به، أو هماما فإنه كفء له

أو تمكننا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه؟" فقال لهم: "أما إحيائي كليبا فهذا ما لا يكون؟ وأما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد أحتوى عليه؛ وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم، فلن يسلموه لي فأدفعه إليكم يقتل بجريرة غيره، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة غدا فأكون أول قتيل بينها، فما أتعجل من الموت؟ ولكن لكم عندي خصلتان: أما إحداهما، فهؤلاء بني الباقون فعلقوا في عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور، وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بني وائل" فغضبوا منه وقالوا: "لقد أسأت، ترذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب". فلحقت الجليلة بنت مرة الشيبانية بأهلها ودعت تغلب قبائل النمر بن قاسط وغفيلة بن قاسط فانضموا لها وأما بنو شيبان فاعتزلت عنهم قبائل بكر بن وائل وكرهوا مساعدتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناقة فارتحلت عنهم بنو عجل وكفت عن نصرتهم بنو يشكر وانقبض الحارث بن عباد سيد بني قيس بن ثعلبة في بيته. ويروى أن الحارث بن عباد والد بجير وسيد بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة نمى في مواقع عديدة كان أولها يوم تحالق اللمم فلما رأت تغلب أنها لا تقدر

على مقاومته أدخلت رجلا في سرب تحت الأرض بطريق يمر به الحارث وقالوا له إذا مر بك الحارث فأنشده بيت الشعر هذا:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فلما مر الحارث بذلك الموضع اندفع الرجل يتغنى في السرب بهذا البيت، فقيل للحارث: "قد بر قسمك فأبق بقية قومك"، ففعل! وتفرقت بعد تلك الوقائع تغلب وارتحلوا حتى نزلوا في الجزيرة الفراتية شمال غرب العراق فيما يعرف باسم "ديار ربيعة"، وبذلك انتهت حرب البسوس ولم يعقل فيها دم ولم تؤد فيها دية لقتلى ولذلك سمت العرب هذه الحرب: البتراء.

يوم ذي قار (٥)

هو يوم مشهود وقع فيه القتال بين العرب والفرس في العراق. وكان سببه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقد أوغر صدره عليه زيد بن عدي العباديّ لأنه قتل أباه عدي بن زيد، فلجأ النعمان إلى هانئ بن مسعود الشيباني فاستودعه أهله وماله وسلاحه، ثم عاد فاستسلم لكسرى، فسجنه ثم قتله. وأرسل كسرى إلى هانئ بن مسعود يطلب إليه تسليمه وديعة النعمان، فأبى هانئ دفعها إليه دفعاً للمذمة، فغضب كسرى على بني شيبان وعزم على استئصالهم، فجهّز لذلك جيشاً ضخماً من الأساورة الفرس يقودهم الهامرز و جلابزين ، فخرجت بنو شيبان يساندهم قبائل العرب إلى بطحاء ذي قار، وهو ماء لبكر بن وائل قريب من موضع الكوفة وحقق العرب انتصارا ساحقا على الفرس .

وهذا الأعشى - أعشى قيس - يصف يوم ذي قار ، يقول :

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم

منا كتائب تزجي الموت فانصرفوا

لقوا ململمة شهباء يقدمها

للموت لا عاجز فيها ولا خرف

لما رأونا كشفنا عــن جماجمنــا

ليعرفوا أننــا بكــر فينصــرفوا

قالوا: البقيّة والهندي يحصــدهم

ولا بقيّة إلا الســيف، فانكشــفوا

لما أمالوا إلى النشــاب أيــديهم

ملنا ببيض فظل الهام يختطــف

وخيل بكر فما تنفــك تطحــنهم

حتى تولوا، وكاد اليوم ينتصــف

لو أن كل معد كــان ــ شــاركنا

في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

الهوامش :

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ج١ ، ج٨ .

٢- أيام العرب في الجاهلية محمد جاد المولى وصاحباه ص ٧١ وما بعدها.

٣- ديوان زهير بن أبي سلمى.

٤- أيام العرب في الجاهلية محمد جاد المولى وصاحباه ص ١٤٢ وما بعدها.

٥- نفسه. ص:٦ وما بعدها.

الشعر

ديـــوان العـــــرب

استطاع العربي في شبه الجزيرة أن يصور البيئة من حوله في شعره ، وأن يسجل حياته اليومية وذكرياته ، وأحداث عصره ، فكان الشعر بذلك سجلا لحياة العرب ، وكان الشاعر العين التي تدور هنا وهناك ترصد وتدون ما دار في البيئة وما وقع فيها من أحداث جسام، وكان ماوصل إلينا عن حياة العرب وتاريخهم عن طريق ما نظم الشعراء في قصائدهم من أبيات في الوصف أو الرثاء أو الهجاء ، فعرفنا الأماكن ، ووقفنا على جغرافية الجزيرة وتعرفنا الأفراد والقبائل ، وما في البيئة من نبات وحيوان وشجر وثمر ، وكان الشعر – بذلك – ديوان العرب .

المعلقـــات :

هي القصائد الطوال المختارة لأشهر شعراء الجاهلية، وقد أطلق عليها النقاد مسميات عدة فنعتوها المسمَّطات أو المذهبات تشبيهًا لها بالقلائد والعقود التي تعلقها المرأة على جيدها للزينة أو لكتابتها

بالذهب أو بمائه وتعليقها على أستار الكعبة أو للكونها تعلق بالذهن بسبب قوتها ومتابة صياغتها .

وقد اختلف في تسميتها، وفي عددها وأسماء شعرائها، كما اختلف في عدد الأبيات وترتيبها وفي رواية بعض الألفاظ، وهو أمر مألوف في كثير من نصوص الشعر الجاهلي التي وصلت إلينا **ويعود ذلك إلى سببين** :

- الاعتماد على الرواية الشفوية
- تعدد الرواة واختلاف مصادرهم.

والراجح الذي اتفق عليه الرواة والشُّرَّاح أنها سبع، فابن الأنباري والزوزني اكتفيا بشرح سبع منها هي:

١. معلقة امرئ القيس **ومطلعها** :

قفانَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومنزلِ
بسِقط اللِّوى بين الدَّخول فحوْمَل

٢. ومعلقة طرفة بن العبد **ومطلعها**:

لخولة أطلالٌ بِبُرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

٣. معلقة زهير بن أبي سُلْمى **ومطلعها** :

أَمِنْ أمِّ أوْفَى دمْنةٌ لم تَكَلَّم
بَحَوْمانة الدُّرّاج فالمتَثَلَّم

٤. ومعلقة عنترة بن شداد ومطلعها :

هل غادَرَ الشُّعراء مِن مُتَردَّم

أم هَلْ عرفْتَ الدار بعد توهم ؟

٥. ومعلقة عمرو بن كُلثوم ومطلعها :

ألا هبِّيْ، بصحْنِك فاصْبحينا

ولا تُبقي خُمور الأنْدَرِينا

٦. ومعلقة الحارث بن حِلِّزة ومطلعها :

آذنتْنا ببينها أسْماءُ

رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

٧. ومعلقة لبيد بن ربيعة ومطلعها :

عَفَتْ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بمنى تَأَبَّدغولُها فِرَجامُهَا